

الدرس السردي العربي المعاصر من البنية إلى المرجعية
مقاربة نقدية لكتاب (سرديات التجريب) للناقد فيصل غازي النعيمي
The Contemporary Arab narrative lesson from structure to
reference

A Critical Approach to the Book (Experimentation Narratives) For
the critic Faisal Ghazi Al-Nuaimi

Dr. Emad Bashir Al-Jeru
University of Mosul - College of
Education for Humanities Sciences -
Department of Arabic Language

د. عماد بشير الجيرو
جامعة الموصل - كلية التربية للعلوم
الإنسانية - قسم اللغة العربية

Emad.basheer@uomosuledu.iq

تاريخ القبول

٢٠٢١/٧/٢٥

تاريخ الاستلام

٢٠٢١/٤/٢٦

الكلمات المفتاحية: السرد العربي الحديث- الثنائيات الضدية- المرجعيات الثقافية

Keywords: modern Arab narration- the oppositional dualities - cultural references.

الملخص

يعد الدكتور فيصل النعيمي من الأسماء النقدية العراقية المهمة بالنقد الأدبي ولا سيما المجال السردى الحديث، وقد صدر له في هذا المجال مجموعة من الكتب المتميزة هي على الشكل الآتي : (العلامة والرواية)، (جماليات البناء الروائي عند غادة السمان)، (شعرية المحكي)، (حساسية النص القصصي)، (سرديات التجريب قراءة في متخيل الرواية العربية الجديدة) . ومنذ انطلاقة النعيمي التي تميزت بعمقها الفكري، وتمكنها من الأدوات المنهجية التي قام باستعمالها، وهو يسعى لإقامة مشروع نقدي يختص بالمجال السردى دون سواه . شملت مقارنتنا النقدية كتاب (سرديات التجريب)، التي حدد فيها الناقد خصائص المنهج العلمي الذي يسعى لتوظيفه من أجل الاقتراب من عالم الروايات التي اختارها مجالاً لدراسته، وقد قام فيه بالبحث في مكونات الخطاب البنوي المُشكَّلة لهذه الروايات . اجتهد البحث في دراسة المفاهيم النقدية التي يمتلكها النعيمي من خلال تحديد الصيغة الأساسية المنكررة في نقده . وقامت دراستنا على ثلاثة محاور، تناول الأول : السرد العربي الحديث، الثاني : الثنائيات الضدية، أما الثالث فقد وقف على دراسة المرجعيات الثقافية .

Abstract

Dr. Faisal Al-Nuaimi is one of the Iraqi critical names interested in literary criticism, especially the modern narrative field, and he has published a number of distinguished books in this field, which are as follows: (The Sign and the Novel), (The Aesthetics of Fictional Structure in Ghada Al-Samman), (The Poetry of Spoken) The sensitivity of the narrative text, (The narratives of experimentation, a reading in the imaginative of the new Arabic novel). Since Al-Nuaimi's inception, which was distinguished by its intellectual depth and mastery of the methodological tools that he used, he sought to establish a critical project in the narrative field alone.

Our critical approach included the book (Narratives of Experimentation), in which the critic identified the characteristics of the scientific method that he seeks to employ in order to approach the world of narratives that he has chosen as his field of study, as he has researched the components of the structural discourse that form these narratives.

The research endeavored to study the critical concepts that Al-Nuaimi possesses by identifying the basic formula repeated in his criticism. Our study was based on three axes, the first dealt with the modern Arab narration, the second: the oppositional dualities, and the third dealt with the study of cultural references.

أولاً: السرد العربي الحديث :

إن الرواية العربية قد نجحت في اختراق العوالم الحداثيّة، من خلال تطويرها لأدواتها الفنية وتطويرها لجماليات لغتها، ولاسيما منها تلك اللغة السردية الراقية، التي جعلت عدداً من الفنون القديمة أداة طيّعة للتوظيف الفني، مثل لغة التصوف، والميثولوجيا بصورتها العامة^(١). يرى فيصل النعيمي أن من أهم سمات الرواية العربية الجديدة نزعتها التجريبية القائمة على كسر الرتابة التقليدية للسرد ومكوناته، والانقلاب على الأسس الشكلية والثوابت التعبيرية المرتبطة بأنظمة كتابية محصورة في سياقات نوعية وجنسية، ودوائر تاريخية، وسوسيوثقافية، ومدارس فنية وأدبية لها تجلياتها المختلفة على المستويين الجمالي والفكري^(٢). وتقرب رؤية النعيمي من رؤية الغالبية من دارسي الرواية العربية، إذ إن الرواية عند بلحيا الطاهر ((تشكل من بلورة الأسطوري بالحكاوي مع الرمزي، ويصب ذلك جميعه في لغة شعرية صوفية أحياناً، قد تكون موعلة في التراثية بنغمة حداثيّة، رافضة لفكرة الحدود بحيث نجدها تذوب في انصهار متجانس مع مقومات الأجناس الأدبية، بل وتظهر داخل بوتقة واحدة، لتنتج عالماً جديداً، هو ما أسميناه هنا بالعودة الذكية إلى الميثولوجيا ولما تزخر به من تراث عربي إسلامي وإنساني عموماً والإفادة منه بشكل ذكي بحيث يصير جزءاً من الواقع الذي نعيشه في زماننا المر...))^(٣). وهو ما أكدّه النعيمي ((ومن هنا فإنّ الرواية العربية شهدت انقلاباً كتابياً ورؤيواً... نتيجة لعوامل عدة منها ما يتصل بالواقع الاجتماعي والسياسي السائد آنذاك ومنها ما يتعلق بالتطورات الهائلة التي لحقت بالسرد، نظرياً وإجرائياً، وبالتأكيد لا يمكن إغفال العامل الذاتي المتصق بالمبدع العربي الذي حاول تأصيل النص الروائي، ومد الجسور الإبداعية تارة إلى تيار الحداثة الغربية وتطوراتها المتسارعة، وتارة أخرى إلى التراث الحكائي العربي القديم...))^(٤).

يقيم النعيمي مقارنة بين الرواية الجديدة في فرنسا والرواية العربية الجديدة، إذ إن الأولى ((ذات توجه فكري خاص بها متأسس على رؤية تشيؤ للوجود، بينما الرواية العربية الجديدة ذات نظرة إنسانية عميقة وشاملة، فهي تؤنسن غير المؤنسن في سبيل التعبير عن

(□) ينظر: الرواية العربية الجديدة من الميثولوجيا إلى ما بعد الحداثة جذور السرد العربي، بلحيا الطاهر، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية - ناشرون، بيروت، ط ١، ٢٠١٧ : ٢٠-١٩.

(□) سرديات التجريب قراءة في متخيل الرواية العربية الجديدة، د. فيصل غازي النعيمي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠٢٠ : ٣.

(□) الرواية العربية الجديدة من الميثولوجيا إلى ما بعد الحداثة جذور السرد العربي : ٢١.

(□) سرديات التجريب قراءة في متخيل الرواية العربية الجديدة : ٣.

الواقع المرير الذي تركز إليه^(١) . في حين ترتبط الرواية عند سعيد يقطين ((ارتباطاً وثيقاً بنبض الإيقاع الداخلي للحياة العربية في أبسط صورها وأعقد تجلياتها، فحملت بذلك أحاسيس الإنسان العربي وانفعالاته وانشغالاته بقضاياها اليومية والمصيرية في مجالات السياسة والاجتماع، بكل ذلك حققت الرواية ارتباطاً عميقاً بمعاناة الإنسان ومكابداته وتطلعاته وهي تتجسد من خلال علاقاته بالسلطات المختلفة التي تكبل طاقاته وتكالب عليه، وتشل تطلعاته إلى تحقيق الحياة الفضلى^(٢) .

في الوقت الذي تقوم الرواية العربية الجديدة عند النعيمي على أنقاض الرواية الواقعية، والتوسل بتقانات سردية غير مألوفة والتواصل مع التجربة الروائية العالمية بكل تفصيلاتها ، وعدم الانغلاق على الرواية الغربية، يؤكد على الربط الواعي بين التراث والحداثة^(٣) . وقد يكون هذا الرأي أقرب إلى الإنشائية منه إلى الموضوعية، إذ يعد سعيد يقطين ((النص الروائي الغربي عنصراً أساسياً ومقوماً هاماً بالنسبة للخطاب الروائي العربي ؛ لأنّ الكاتب العربي، بصورة أو بأخرى، ضمناً أو مباشرة، يتفاعل مع هذا النص، فيستفيد من تقنياته وأساليبه وأشكاله، لذلك لا يمكننا ونحن نروم تلمس تطور الشكل الروائي العربي أن نغض الطرف عن هذا النص الروائي الأكبر وما يمثله من بعد مرجعي لأي كاتب روائي، إنه بمثابة (اللاشعور) الروائي الكامن في الكتابة الروائية بشكل عام، وهو الذي يتحدد بموجبه أي وعي بالرواية أو انخراط في كتابتها لدى أي كاتب^(٤).

ثانياً: الثنائيات الضدية :

عرّف المعجم الفلسفي الثنائية بأنها ((الثنائي من الأشياء ما كان ذا شقين، والثنائية هي القول بزوجية المبادئ المفسرة للكون، كثنائية الأضداد وتعاقبها، أو ثنائية الواحد والمادة - من جهة ما هي مبدأ عدم التعيين - أو ثنائية الواحد وغير المتناهي عند الفيثاغوريين أو ثنائية عالم المثل وعالم المحسوسات عند أفلاطون ...، والثنائية مرادفة للثنائية، وهي كون

(□) سرديات التجريب قراءة في متخيل الرواية العربية الجديدة: ٣ .

(□) قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، سعيد يقطين، الدار العربية للعلوم -

ناشرون، بيروت، ط ١، ٢٠١٢ : ٩١ .

(□) سرديات التجريب قراءة في متخيل الرواية العربية الجديدة : ٣ .

(□) قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود : ٩٧ .

الطبيعة ذات مبدئين، ويقابلها كون الطبيعة ذات مبدأ واحد، أو عدة مبادئ (الثنوية والاثنتينية))^(١).

يشكل مفهوم الثنائيات الضدية عصب المدرسة البنائية في النقد والتحليل البنيوي/ البنائي، ويتحدد هذا المفهوم بوصفه مفهوماً بنيوياً من دراسات ليفي - شتراوس حول الأساطير، ولا تستخدم للسانيات / الألسنية، والتحليل البنيوي فكرة الثنائيات الضدية من جهة الكلمة والمفاهيم فحسب، بل من جهة تقاليد النص ورموزه^(٢).

لم تكن الثنائيات الضدية من المصطلحات المتداولة في تراثنا العربى ولا من المصطلحات الشائعة في الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة عند العرب، فهو مصطلح نشأ في أحضان البنيوية^(٣).

يرى كوهن أن ((الثنائيات الضدية تنشأ من شعورين مختلفين يوقظان الإحساس، وواحد من هذين الشعورين فقط هو الذي يستثمر نظام الإدراك في الوعي، والثاني يظل في اللاوعي))^(٤).

يولي النعمي اهتماماً كبيراً لظاهرة الثنائيات الضدية في إطار قراءاته النقدية للرواية العربية، فهو يؤمن بأن المقاطع السردية للرواية تشتغل وفق مبدأ الثنائيات أو الأقطاب الضدية في الغالب والمتكاملة أو المتوازنة نادراً، لعل أهمها (العالم القديم # العالم الجديد ، والمقدس # المندس)، إذ مع الأول قدسية الموسيقى وتماهيها مع العبادات واقتصارها على المعابد وبذلك يكون العالم الأول القديم (المبنى على الاستنكارات)، رمزاً للطهارة والمقدس المطلق يقابله العالم الجديد : العالم الاستهلاكي، الموسيقى في العالم الأول علامة على القوة والنقاء وضرورة وجودية لا غنى عنها، وفي العالم الثاني الموسيقى شيء ثانوي، يدخل ضمن باب الكماليات والأشياء العرضية والاستهلاكية، والعلامة المميزة لهذا التوظيف هي التوافق والتناظر وفق الموقف السردى بين المقطوعة الموسيقية في معانيها العميقة وبين الأحداث السردية^(٥).

(١) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د. ت : ٣٧٩ .

(٢) ينظر: الثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربى القديم، د. سمر الديوب، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠٠٩ : ٥ .

(٣) ينظر: الثنائيات الضدية : الماهية والمصطلح، خالد عبد العزيز حسان، مجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، مج ٥، ع ٣، ٢٠١٩، ٧١ .

(٤) اللغة العليا، النظرية الشعرية، جان كوهن، ترجمة : أحمد درويش، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ١٩٩٥ : ١٨٧ .

(٥) سرديات التجريب قراءة في متخيل الرواية العربية الجديدة : ٢٣ .

يحيل النعيمي في رواية (شرفات بحر الشمال) ماهية الشرفة على ((تقاطبات ثنائية من أهمها : الداخل / الخارج، الوطن / المنفى، الظهور / التوازي، الأعلى / الأسفل، في حين تحيل (بحر الشمال) على مكان محدد (مدينة أمستردام + الميناء القديم) أي أن المكان انقسم مابين الحركة والسكون مما أفسح المجال لإيجاد صيرورة حكاية تعود إلى ما يقارب (النصف قرن)، حيث يتقاطع الفردي والجماعي، والتاريخي والآني، والواقعي والمتخيل . ولعل الفاعلية الأولى لثنائية (الضيق والاتساع)، و (الألفة والتوحش) تتجلى في موقعين مختلفين لشخصية ياسين (الشخصية المحورية + الراوي)، الأول عندما يقارب بين ضيق الأزقة في مدينة (الجزائر)، ومن ثم انفتاحها على البحر وسعته... ويشكل المقطع السردي فاتحة مكانية تؤثر لبروز ثنائية الاتساع / الضيق، وبعد ذلك ثنائية الوطن / المنفى)) (١) .

اعتمد النعيمي في تحليله منهجاً بنويماً واضحاً متأثراً بمن سبقه من النقاد المحدثين والذي يقف في طليعتهم كمال ابوديب في كتبه المختلفة ، إذ إنّ البنيوية تتصور أنّ ((العالم مجموعة من الثنائيات المتشابهة والمتقابلة، تنعكس على شبكة العلاقات اللغوية فتحيلها إلى مجموعة من الثنائيات الخالصة)) (٢) . وقد حاول البنيويون تطبيق هذه الرؤية في قراءاتهم الشعرية وتحليلهم للنصوص الأدبية، وأخذوا يلحون على أنّ الكلمة مفردة لا قيمة لها ولا دلالة تؤديها مالم توضع إزاء نقيضها، إذ إنّ اللغة عند دي سوسير عبارة عن إشارات، ولا تعرف دلالة هذه الإشارات إلا من خلال خصائصها الأساسية، يتم ذلك من خلال تمايزها عن سواها من الإشارات، فكلية (ضلالة) صارت ذات معنى ليس لشيء في ذاتها، ولكن لوجود (الهداية) فبضدها تتبين الأشياء، ولولا السواد لما عرفنا (البياض) (٣) . وبصورة عامة فإنّ ((العنصر الجوهري في القيم الأسلوبية يتخلّق أساساً من النقابلات بين أساليب اللغة المختلفة)) (٤) .

تتخذ الثنائيات عند النعيمي أشكالاً شتى من العلاقات والتمثلات لأمر بسيط وواضح، وإعادة لتشكيل العالم وفق رؤية محددة، و((يبدو جلياً كيف تناسلت الثنائيات الضدية من الثنائيات الإطارية الأولى (التوحش / الألفة) إلى ثنائيات (الحزن / الفرح) (القبج / الجمال)،

(□) سرديات التجريب قراءة في متخيل الرواية العربية الجديدة : ٣٣ .

(□) بناء الأسلوب في شعر الحداثة، محمد عبد المطلب، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٥ : ١٤٩ .

(□) ينظر: الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية، عبدالله محمد الغدامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط ١، ١٩٨٥ : ١٥ .

(□) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٥ : ١٦ .

ولا شك في أن تتاسل الثنائيات المستمر دليل على فاعلية الفضاء المكاني وتحوله من مجرد جغرافيا ميتة إلى حالة وجدانية / نفسية وحساسية كتابية وشعرية سردية تكشف عن أزمة هوية تتأرجح ما بين الانتماء والانسلاخ^(١) .

إن تخصص النعيمي في النظريات السردية خلال اشتغاله في المجال الأكاديمي مكنته من القراءة والانفتاح على النص الروائي، إذ تتداخل أزمنة النص الروائي عنده بشكل معقد ما بين الماضي والحاضر والمستقبل، والتخييلي والواقعي والتاريخي ((فالرواية عبارة عن نص ارتدادي، وإن المفارقة الزمنية عمقت حضور ثنائية (الحضور / الغياب)، إذ إن الغالب على المقاطع السردية الدالة على الزمن الحاضر مقارنة بالماضي، ويعتمد الكاتب في ذلك على جماليات الكتابة الجديدة حيث التفكك والتشظي))^(٢) . لذا لا بد من توافر التضاد ليتشكل النسق، ولكي يتشكل لابد أن ينحل، لتنشأ عبر التغاير (الحضور والغياب) بنية تقوم على ثنائية ضدية تتبع من التمايز بين عنصرين أساسيين^(٣) .

يذكر محمد بازي أن الحياة قائمة ومبنية على الثنائيات والازدواج حتى أخذت طريقها إلى النصوص بكيفية من كيفيات التجلي والحضور، ويأتي التأويل التقابلي ليعيد الأشياء إلى منطلقاتها مع ما يحصل أثناء التلقي من تذوق وتأثر مع المقروء، وتحول من القيم والتصورات حول العالم^(٤) .

تشير مواضع عدة في كتاب (سرديات التجريب) إلى شغل عنصر المكان بثنائياته الضدية مساحة واسعة في قراءة النعيمي النقدية ((من القضايا المكانية المهمة والمتعلقة تماماً بالوصف المعقد هي التكثيف والتوسع والاهتمام بتفاصيل المكان وفق ثنائية (الحضور / الغياب) وهذه القضية احتقت بها الرواية الجديدة وعدتها مرتكزاً أصيلاً في فهم الواقع))^(٥) . في رواية (فارابا) للشاعر عبد المنعم الأمير، يقدم النعيمي نصه من خلال مقارنة بين جمالية المكان وقبحه ((بين المكان بوصفه مكاناً جاذباً وتحديداً عندما يرتبط بذكرى بعيدة، وبين المكان الطارد، وبذلك تتوفر مساحة نصية واسعة في متن الرواية لاستعراض

(١) سرديات التجريب قراءة في متخيل الرواية العربية الجديدة : ٣٧ .

(٢) سرديات التجريب قراءة في متخيل الرواية العربية الجديدة: ٤٧ .

(٣) ينظر: جدلية الخفاء والتجلي دراسات بنويوية في الشعر، كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٧٩ : ١١٠ .

(٤) ينظر: تقابلات النص وبلاغة الخطاب نحو تأويل تقابلي، محمد بازي، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، ط ١، ٢٠١٠ : ١٢٧ .

(٥) سرديات التجريب قراءة في متخيل الرواية العربية الجديدة : ٦٧ .

جماليات المكان الموصلي من أزقة ومناطق أثرية وبيوتات وكل ذلك مرتبط بالماضي القريب والبعيد للتدليل على عنف الواقع الحالي)) (١) .

كما فرضت البيئة المساوية وعمق الرواية الاغترابية التشاؤمية التي حفلت بها رواية (براري الحمى) لإبراهيم نصر الله، حضوراً جلياً في الثنائيات المتضادة أو المتكاملة في نص القصيدة، قدمتها الرواية بشكل أكثر اتساعاً، ((فهناك ثنائية الجنوب / الشمال، التي لا تتغلق على ذاتها بل تتفتح على ثنائيات أخرى، الذكورة / الأنوثة، الحضارة / البدائية، الجفاف / الخصب، القمع / الحرية ، الخضرة / الصحراء، الموت / الحياة، الظلام / النور، الأنا / الآخر)) (٢) . وفي موضع آخر من الرواية ذاتها يشير النعيمي ((إن شخصية (محمد) تعاني من اغتراب ذاتي أدى بها إلى الانفصام التام وانشطارها على أكثر من مستوى أهمها (الموت / الحياة) (الواقع / الحلم)، وبذلك تتبدى الشخصية في إحدى تجلياتها، ذاتاً مقهورة، مكسورة وتعاني من القمع بكافة أنواعه، وهي تعيش لتري التجلي الآخر لها (الموت)) (٣) .

ثالثاً: المرجعيات الثقافية :

سعى النعيمي في دراسته للكشف عن مختلف الأنساق الثقافية معرفية كانت أم جمالية، والتي شكلت مرجعاً مهماً في الكتابة الروائية، والروائي ((بوصفه مثقفاً منخرطاً في تلك العلاقات الاجتماعية، لا بد وأن يتأثر بتلك الثقافة السائدة التي ستشكل مرجعاً أساسياً في تشكيل ثقافته الخاصة، والتي ستظهر بصورة جلية أو مضمرة في نصوصه الإبداعية)) (٤) .

يؤمن النعيمي بأن الروائي يستوحي التاريخ ويطويعه ليكون نصاً إبداعياً مميزاً يخرج من دائرة التكرار إلى دائرة التفرد والابداع . فالرواية عنده لا تميل إلى تقديم أجوبة تتعلق بوجود الإنسان في ماضيه البعيد وراهنه المعاصر بقدر ما تثير الاسئلة التاريخية والوجودية عن كينونته ومستقبله لكنه ضمن شرط أساسي وهو الوعي الجمالي بالتاريخ والحاضر .

نجد الثقافة العالية للنعيمي في اطلاعه على الروايات العالمية والعربية والمحلية، ففي رواية (في انتظار فرج الله القهار) للروائي العراقي سعدي المالح، يرى النعيمي أن هذه الرواية قد ((التزمت بشرط أساس يعد المكون المركزي في بنائها العام وهو استثمار روح التاريخ

(□) المصدر نفسه : ١٠١ .

(□) سرديات التجريب قراءة في متخيل الرواية العربية الجديدة: ١٠٨ .

(□) المصدر نفسه: ١١٠ .

(□) المرجعيات الثقافية في روايات واسيني الأعرج، أ. حنينة طبيش، مجلة كلية الآداب واللغات / جامعة خنثلة، ع ٢ : ١٦٥ .

والعبث ويتجلى هذا منذ العتبة العنوانية القريبة تركيباً من مسرحية بيكيت الشهيرة (في انتظار غودو) ، وينبثق العبث واللامعقول هنا بوصفه هنا المناقض للعقل أو الغريب عن العقل، ويقابله المعقول . وبالتأكيد فإنّ هذا العالم المتصف بالعبثية تحاول الرواية خلقه بالاعتماد على الواقع والتاريخ، إذ تحفر عميقاً في الماضي وهي تواجه الحاضر متخذة من تقانات وأساليب مسرح العبث منطلقاً لها وتحديداً ما يتعلق بعدم وجود حكاية ذات ملامح واضحة (أي بداية ونهاية) وإنما وجود وضعيات تتكرر إلى ما لانهاية)) (١) .

يرى النقاد أنه لا يمكن تحقيق هويتنا الحضارية، وتأكيد أصالتنا الإبداعية الحقيقية، والحفاظ على كينونتنا الجوهرية الواعية، وتأسيس حدثنا الجمالية، إلا إذا أكثرنا من كتابة الروايات ذات التخيل التاريخي، نظراً لجماليتها السحرية الرائعة، وانفتاحها على تراث أسلافنا(٢) .

تتسم رؤية النعيمي بالوضوح في ((أنّ النص يركز على التاريخ ولكنه لا يماهيه بقدر ما يجعل منه منطلقاً له نحو تحقيق شعيرة سردية متعلقة مع المقدس بتجلياته ... إذ التمثل الواعي للنص التاريخي وفهمه هو من يؤسس فيما بعد للتحوير والتحويل ضمن منطلق مختلف عن التاريخ المحكوم بالتوثيق وهو منطلق التخيل الإبداعي، وهذا شرط أساسي لا تتنازل عنه أية رواية تعد نفسها في مصاف الفنية)) (٣) .

وتتداخل المرجعيات التاريخية لدى النعيمي بالأبعاد الأيديولوجية، وهو أمر حتمي، إذ إنّ الأدب فضلاً عن أنّه فعل لغوي فهو ((فعل أيديولوجي)) (٤) . فلا تبدو الحادثة التاريخية مفرغة من بعدها الأيديولوجي على الرغم من إعادة بنائها سردياً ((فالمؤثرات السوسيوثقافية تتحكم في قصدية النص وتوجهه بما يتناسب والبناء الروائي العام القائم على مبدأ (الانتقاء) ف (مذبحة الآشوريين) تقدّم بوصفها صورة من التاريخ الدموي في قمع وقتل المهمشين عرقياً، وإثنية في بلد تتزاحم فيه الصراعات لكن ضمن رؤية جمالية لا تتقصد التطابق التام)) (٥) .

حاول النعيمي أن يسلط الضوء على التشكيل الأيديولوجي في نماذج من روايات مختارة، اتسمت محاولاته بالدقة في دراسة مظهرات الأيديولوجية التي تشكل أساس العمل

(□) سرديات التجريب قراءة في متخيل الرواية العربية الجديدة : ٦-٧ .

(□) ينظر: الرواية التاريخية، جميل حمداوي، منشورات المعارف، المغرب، د . ط، ٢٠١٤ :

. ١٨٢

(□) سرديات التجريب قراءة في متخيل الرواية العربية الجديدة : ٧-٨ .

(□) الأدب والأيديولوجيا، كمال أبو ديب، مجلة فصول، مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية

العامة للكتاب، ع٤، ج٢، ١٩٨٥ : ٥٤ .

(□) سرديات التجريب قراءة في متخيل الرواية العربية الجديدة : ١٠ .

الروائي، غير أن فعالية ودور الأيديولوجيا واقعياً أو نظرياً لا يمكن أن تُحدد إلا داخل إطار العلاقة مع الطبقات الاجتماعية وبيئتها والصراع الذي يجمع بينها وينتج عن ذلك تداخل المرجعيات الثقافية.

في رواية (مدينة الله) للكاتب حسن حميد يعمد النعيمي في بناء الشخصية الأنثوية على نظام سيميوطيقي يقسم عالم المرأة على عالمين متناقضين متصارعين ما بين الأنثى الفلسطينية والأنثى الإسرائيلية، ومعلوم ما للقسمين من مرجعيات متعددة (أسطورية / دينية / تاريخية / اجتماعية / شعبية) مؤثرة في بناء الشخصية وتحديد تصرفاتها في العوالم المحكية، إذ يعمد الروائي عند بناء شخصية الأنثى إلى مرجعيات مختلفة ومتعددة، لكن التداخل بين هذه المرجعيات هو السمة الحاضرة، مما يؤثر على خصوبة رمزية الأنثى في هذه المدونة، إذ تتماهى وتتداخل المرجعيات الأسطورية والتاريخية غير المحددة والمخيال الشعبي ذو الصبغة التقديسية في بناء شخصية الأنثى، وكذلك في إضفاء البعد الأسطوري والعمق التاريخي على جذور المكان (القدس) وبذلك تظافت المرجعيات في بناء الشخصية الأنثوية التي منحت للفضاء المكاني الاسم (سلوان / نبعة السلوان) ومن ثم منحت هذه العلامة الأنثوية الدالة على العطاء والخصوبة والحياة الممتدة اللامتناهية^(١).

وفي أنموذج آخر ((تمتزج فيه المرجعيات الاجتماعية والدينية والأسطورية والرمزية، يقدم النص الروائي المرأة اليهودية المتمسكة بالتعاليم التوراتية المحافظة على الأصول والتقاليد الصهيونية البعيدة عن الملامح الإنسانية والتي تعيش لأجل بناء دولة إسرائيل، وبذلك ينحو الخطاب الروائي مع هذه الشخصية منحى أيديولوجياً يعبر عن وجهة نظر المرأة اليهودية في القضايا السياسية المصيرية))^(٢).

استطاع النعيمي من الوقوف على المرجعيات الأسطورية التي وظفها الروائيون في أعمالهم، في سعيهم الدائم لإيجاد شكل روائي جديد يمرر أفكارهم ورؤاهم ((فالأسطورة فيها ماثلة في الانتاج الفني وفي التاريخ عندما يوظف في النظام التربوي لتبرير وقائع معاصرة))^(٣). و((تنبثق أسطورة (طائر الفينيق) حيث الموت والانبعاث من تحت الرماد في

(□) سرديات التجريب قراءة في متخيل الرواية العربية الجديدة : ٧٩ .

(□) المصدر نفسه: ٨٢ .

(□) معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون، دار محمد علي للنشر، تونس، ط١، ٢٠١٠:

نص الرواية بشكل يجعل منها معادلاً موضوعياً للوطن الواقع تحت تراكمات القمع والقتل والتدمير الذاتي للإنسان العراقي))^(١).

يستلهم النعيمي الحكاية الأسطورية لتعبر عن الواقع ولكن من منظور مختلف، إنه البعد الرمزي المكثف الذي يضيف على النص الروائي لمسة جمالية مميزة، فهو يدرك جيداً قدرة الأسطورة التعبيرية والرمزية ((على الرغم من ضالة التواجد النصي للأسطورة فإنها تمارس حضورها بفعالية كبيرة تمتد إلى أبعد من الحضور النصي فهي تتحرك من الماضي السحيق حيث الأسطورة الدالة على الموت والاندثار والتحول إلى رماد ومن ثم العودة إلى الحياة بقوة عبر الانبعاث المعتمد على القوة الذاتية، إن احتراق الذات يتجسد في النص الروائي وعالمه المتخيل في أكثر من صورة أبرزها تكرار التاريخ الدموي لبلاد ما بين النهرين حيث يتداخل بناء الأسطورة ودلالاتها تماماً مع البناء السردى وتتحوّل الأسطورة إلى نسيج سردي يضم المقولات العامة للنص الروائي. وتبدو مفردات (الرماد / الوطن / الاحتراق / طائر الفينيق / احتراق الذات) في استعمالها في النص الروائي أكثر قدرة على التعبير عن دلالات عنوان الرواية الدالة على الأمل وانتصار الحلم المستخلص من توظيف الأسطورة بأبعادها التاريخية والسياسية والاجتماعية))^(٢). ويرى النعيمي أن تعدد المرجعيات وخصوصيتها لا يلغي خصوصية الأنتى وفاعلية علاميتها (الحياة/ التضحية)، وتتداخل الأسطورة هنا مع الأساطير الفرعونية في العلاقة ما بين الفتاة وفيضان النيل الموسمي على الرغم من ورود المرجعية الأسطورية في إطار تأصيل المكان على مستوى البعدين التاريخي والشعبي، وبذلك فإن الدوال التي ترسم ملامح الأنتى / المكان لا تعتمد إلى المرجعيات الرسمية فحسب بل تستثمر وتوظف التاريخ المغيب المتأسس على الذاكرة الشعبية^(٣).

يلجأ النعيمي إلى عناوين الروايات بوصفها أهم العتبات التي يدرسها النص الموازي، فهي مفتاح إجرائي يسهم في فك مغاليق النص، يوظف الروائي فيها جملة من الطاقات الإبداعية، ويدرسها من خلال العلاقة بين السيميائية والعنوان، واهتمام السيميائيين بالعنوان بوصفه علامة لغوية بالدرجة الأولى، ثم مكونات العنوان وإحالاته ومرجعياته.

في رواية (فارابا) للشاعر عبدالمنعم الأمير يتناول النعيمي (فارابا) على أنه ((مقطع لغوي منحوت من كلمتين تؤديان معنى واضحاً وقاراً في ذهنية المتلقي، وعلى الرغم من ضبابية المقطع العنواني إلا أن متن النص أسهم في فك لغز العنوان، فضلاً عن المرجعيات المقيدة له، وتحديدًا المرجعيات الفلسفية والتاريخية، بعد الاطلاع على متن الرواية يتأكد لنا أن

(□) سرديات التجريب قراءة في متخيل الرواية العربية الجديدة : ١٨ .

(□) المصدر نفسه: ١٨ .

(□) المصدر نفسه : ٧٩ .

العنوان منحوت بطريقة شعرية من كلمتين متلازمتين في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وهما (الفارابي + المدينة الفاضلة))^(١).

أمّا في رواية (شرفات بحر الشمال) ل (واسيني الأعرج) يركز النعيمي على بيان أهمية عنوان الرواية على اعتبار ((أنّه عنوان مكاني بامتياز (شرفات/بحر/ الشمال) ويؤسس لظهور بؤرة مكانية مركزية / انتقالية وهي (الشرفة) تطل منها الذات الساردة (ياسين) على مكانين بعيدين، أحدهما : (الوطن/ الجزائر)، والثاني : (الغربة/ أمريكا)، وبذلك نكون إزاء مكان انتقالي (مدينة أمستردام) لم تتوقف فيه الشخصية سوى (٥أيام) ومع ذلك شُخص هذا المكان ليتوازى بجمالياته وسعته وحضارته وقيمه الإنسانية مع أمكنة الوطن المتعددة))^(٢). في حين يشخص الناقد تجليات المقدس في بنية رواية (في انتظار فرج الله القهار) منذ عتبة العنوان ((التي تحيل في مداها الدلالي الواسع على مفهوم ديني مقدس يتعلق بظهور (المهدي المنتظر) أو (المسيح) فضلاً عن الفضاءات المقدسة والطقوس والكرامات واللغة))^(٣).

(١) سرديات التجريب قراءة في متخيل الرواية العربية الجديدة: ٩٥ .

(٢) المصدر نفسه: ٣٣ .

(٣) المصدر نفسه: ١٤ .

الخاتمة

إن الملاحظ على النماذج المختارة من قبل الناقد هيمنة وشيوع عناوين الرحيل والتشرد والمعاناة، كما وتبرز ظاهرة التناص في العنوان وكان منها تناص العنوان مع الأمثال والحكايات الشعبية ومع العناوين الأدبية . (في انتظار فرج الله)، (شرفات بحر الشمال)، (حجارة بوبيللو)، (مدينة الله)، (فارابا)، (براري الحمى) .

ثبت المصادر

أولاً: الكتب

- ❖ بناء الأسلوب في شعر الحداثة، محمد عبدالمطلب، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٥.
- ❖ تقابلات النص وبلاغة الخطاب نحو تأويل تقابلي، محمد بازي، مج ١، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط ١، ٢٠١٠.
- ❖ الثنائيات الضدية دراسات في الشعر العربي القديم، د. سمر الديوب، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠٠٩.
- ❖ جدلية الخفاء والتجلي دراسات بنيوية في الشعر، كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٧٩.
- ❖ الخطيئة والتكفير من النبوية إلى التشريحية، عبدالله محمد الغدامي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط ١، ١٩٨٥.
- ❖ الرواية التاريخية، جميل حمداوي، منشورات المعارف، المغرب، د.ط، ٢٠١٤.
- ❖ الرواية العربية الجديدة من الميثولوجيا إلى ما بعد الحداثة جذور السرد العربي، بلحيا الطاهر، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد الثقافية - ناشرون، بيروت، ط ١، ٢٠١٧.
- ❖ سرديات التجريب قراءة في متخيل الرواية العربية الجديدة، د. فيصل غازي النعيمي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠٢٠.
- ❖ علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، صلاح فضل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٥.
- ❖ قضايا الرواية العربية الجديدة الوجود والحدود، سعيد يقطين، الدار العربية للعلوم - ناشرون، بيروت، ط ١، ٢٠١٢.
- ❖ اللغة العليا، النظرية الشفوية، جان كوهن، ترجمة: أحمد درويش، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ١٩٩٥.
- ❖ معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون، دار محمد علي للنشر، تونس، ط ١، ٢٠١٠.
- ❖ المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج ١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د. ت.

ثانياً: الدوريات

- ❖ الأدب والأيدولوجيا، كمال أبو ديب، مجلة فصول، مجلة النقد الأدبي، الهيئة المصرية للكتاب، ع ٤، ١٩٨٥.
- ❖ الثنائيات الضدية : الماهية والمصطلح، خالد عبدالعزيز حسان، مجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث، مج ١٥، ع ٣، ٢٠١٩.
- ❖ المرجعيات الثقافية في روايات واسيني الأعرج، أ. حنينة طبيش، مجلة كلية الآداب واللغات / جامعة خنشلة، ع ٢.